



بحث بعنوان:

الهدى النبوي في الحوار مع المخالف في الدين

إعداد

د. إسماعيل بن عبدالستار بن هادي الميمني

الأستاذ المساعد

بقسم الكتاب والسنة

كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على الأسرة الحسنة نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد: فقد كلم الله سبحانه وتعالى ملائكته عليهم السلام في استخلاف آدم عليه السلام في الأرض، محاوراً لهم في هذا الشأن، فكان ذلك - الحوار - سنة درج عليها بنو آدم إلى قيام الساعة، فهاهم رُسُلُ الله، وأنبيأؤه عليهم الصلاة والسلام حاوروا أقوامهم ملتزمين في ذلك منهجا ربانيا متميزا بالحرص، والرعاية، والمراعاة لطبيعة البشر، وغرائزهم النفسية والجسدية، وقد كان مسك ختام تلك الدعوات الكريمة، هو دعوة خاتم الأنبياء والرسل سيدنا محمد ٢ إلى الثقلين الجن والإنس جميعا يحاورهم ويبلغهم الحق الذي نزل به القرآن المحفوظ من الزيادة والنقصان، الأمر الذي حفظت به ثوابت هذه الأمة، واستحقت أن تكون خير أمة أخرجت للناس، ونال أتباعه وسام الخيرية، والنصرة، والتأييد، والظهور إلى يوم القيامة، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم إلى يوم القيامة، وكان لزاننا عليهم أن يتخذوا منهج نبيهم ٢ في الدعوة سبيلا لا يحيدون عنه، مهما كثر مخالفوهم، وتنوعت شبهات معانديهم، فهديه ٢ اتسم بالكمال والصلاحية لكل زمان ومكان وأمة، وها نحن اليوم نرى اضطراب الناس في التعامل مع المخالف من بين غالٍ ومفرط، ومن هنا تبرز أهمية هذا البحث في كونه يعرض لأمثلة من هدي نبينا محمد بن عبدالله ٢ في الحوار مع المخالفين له في الدين، كاليهود، والنصارى، والكفار، وكيف برزت سمات وخلق المصطفى ٢ في تلك الحوارات، وهو الموصوف بأن خلقه القرآن عليه الصلاة والسلام، لذا فإن مدارس وتأمل هديه في الحوار مع المخالف يرسم منهجا واضحا ينبغي أن يسار عليه، ويلتزم به من قبل أتباعه في كل عصر ومصر، حتى لو اختلفت بعض التسميات للمخالفين، وتعدد طرائق شبههم، فإن ما ظهر من أمر المخالفين في عهد النبوة هو أصول معتمدة لدى أي مخالف للحق إلى قيام الساعة.

كما يزداد البحث أهمية للإسهام في مواجهة الحملات المتتابعة، والهادفة إلى مدافعة الحق في كل مكان، وخصوصا في الجزيرة العربية، وما حولها، مستغلين بذلك تخالف أحوال المسلمين في سبل المواجهة بين تساهل، وتشدد، إفراط، وتفریط، مع ما هم فيه من تفرق، وضعف في العدة، ولا شك أن الله عز وجل ناصر جنده، ومؤيد لدينه، وقد وفق لذلك طائفة من أمة محمد ٢ تلتزم بهديه، وتتبع سنته، وإن كانوا قلة، فنسأل الله عز وجل أن يجعلنا منهم.

وعندما عزمنا على الكتابة في هذا البحث، ورجعت إلى ما كتب في موضوع الحوار، وجدت أن علماء الأمة قديما وحديثا كتبوا وألّفوا في نواحي عديدة تعنى بهذا الموضوع، كتأليفهم في بيان أحوال الطوائف الضالة المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة، وكذا الدفاع عن السنة النبوية الشريفة، وفقه التعامل مع المخالف، ومن أبرز من كتب في هذا الموضوع حسب اطلاعي القاصر:

الدكتور: طه علواني في كتابه أدب الاختلاف.

والدكتور: عبدالله الرحيلي في كتابه دعوة إلى التفكير المنهجي في ضوء منهج أهل السنة.

والشوقيطي في كتابه آداب البحث والمناظرة.

والدكتور: بكر أبو زيد في كتابه الرد على المخالف.

والدكتور: منقذ محمود السقار في كتابه الحوار مع أتباع الأديان (مشروعيته وآدابه).

والدكتور: تيسير الفتنياني في كتابه الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع.

والدكتور: عبدالله الطريقي في كتابه فقه التعامل مع المخالف.
وبد الاطلاع على هذه الكتب وغيرها رأيت أن أسلك منهاجاً مختلفاً نوعاً ما عما ورد في تلك الكتب وذلك على النحو التالي:

١/ اختيار بعض المواقف التي تم من خلالها التحاور بين النبي ﷺ وغيره من المخالفين له في الدين.

٢/ الاقتصار على المخالفين للنبي ﷺ في الدين فقط.

٣/ التأمل في تلك المواقف وما دار فيها من حوار لاستنباط ما يمكن استنباطه منها في مجال أدب الحوار وسنة التعامل مع المخالف في شتى الأحوال.

٤/ جعلت البحث في فصول بعد أن قدمت له بمقدمة وتمهيد عرضت فيه المعنى اللغوي لكلمتي الحوار والخلاف والمراد بهما هنا.

٥/ عنونت لكل فصل بعنوان موحد في أوله مختلف في آخره من حيث ذكر نوع المخالف على النحو التالي:

الفصل الأول: أمثلة من هديه ﷺ في الحوار مع اليهود، أو مع النصارى. . إلخ.

٦/ جعلت لكل فصل مباحث، وكل مبحث يتضمن مثالا واحدا لحوار بين النبي ﷺ والمخالف.

٧/ تضمن كل مبحث في كل فصل ثلاثة مطالب، الأول في سرد الموقف، والثاني في هديه ﷺ في هذا الحوار، والثالث في أسلوب المخالف مع النبي ﷺ في حواره.

وقد بذلت الجهد والوسع في اختيار ابرز المواقف، والحوادث التي صحت واشتهرت بين النبي ﷺ ومخلفيه، معتمدا في الاستنباط منها على الله عز وجل، ثم التأمل بعمق في طبيعة الحوارات، وذكر ما يفتح الله به عليّ، مع الرجوع عند الحاجة إلى قواميس اللغة، وبعض كتب السير، وبعض ما ألف في موضوع الحوار.

وختاماً: أسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يجعل عملي هذا صالحاً، ولوجهه خالصاً، وأسأله أن يوفق جميع من أفدت من آرائه وتوجيهاته في إنجاز هذا البحث، وأسأله التوفيق والسداد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا وإمامنا وقدوتنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

وكتبه الراجي عفو ربه

د. إسماعيل بن عبدالستار بن هادي الميمني

الأستاذ المساعد بقسم الكتاب والسنة

كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى

في يوم السبت ١٣ من صفر ١٤٢٨ هـ

الموافق ٣ من شهر مارس ٢٠٠٧ م

التمهيد:

الحوار منهج قرآني، وهدى نبوي، فقد ورد كثيرا في كتاب الله تعالى وخصوصا في قصص القرآن، التي تضمنت حوارات الأنبياء مع أقوامهم، وحوارات أخرى كصاحب الجنين مع صاحبه كما قال تعالى: [وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا (٣٤)] الكهف.

بل ورد ذكر حوار امرأة^(١) جاءت تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ فقال تعالى: [قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)] المجادلة.

فالحوار إذا وسيلة مهمة في التواصل، وتبادل الآراء، والوصول إلى الحق وفهم الطرف الآخر، ومعرفة ما يدور في خلد بل هو سبيل التخاطب والتعارف بين شعوب الأرض كما قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا. . . (١٣)] الحجرات.

فضلا عن كون الحوار أحد أهم السبل التي اتخذها رسول الله ﷺ في دعوته للناس باختلاف مللهم، وتفاوت عقولهم، وتباين أفكارهم، ونظراً لما لهذا السبيل من أثر بالغ، وما يترتب عليه من نتائج في أغلبها حميدة بتوفيق الله تعالى، وحيث إن البحث يحمل في عنوانه هديه ﷺ في حوار مع المخالفين؛ لذا أعرض هنا لمعنى الحوار والخلاف في اللغة تمهيدا للبحث.

فالحوار في اللغة يأتي على معان منها:

حور: الحور الرجوع عن الشيء وإلى الشيء حار إلى الشيء، وعنه حوراء،

ومحاراً، و محارة و حؤوراً، رجع عنه، وإليه

الحور: التحير، يقال: حار بعدما كار.

و الحور: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال.

وأحار عليه جوابه: رده، وأحرت له جواباً ما أحار بكلمة.

والمحاورة: المجاورة، والتحاور: التجاوب، واستحاره أي استنطقه، وهم يتحاورون أي

يتراجعون الكلام، والأحور: العقل.

الحوار: حديث يجري بين شخصين، أو أكثر في العمل القصصي، أو بين ممثلين، أو

أكثر على المسرح.

المحور: العود من حديد أو غيره تدور عليه البكرة، ومنه محور الأرض، والجمع

محاور. يقال قلقت محاوره: اضطربت أموره^(٢).

قال ابن عاشور في قوله تعالى [قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ. . . الآية (٣٧)] الكهف.

المحاورة: مراجعة الكلام بين متكلمين، ودل فعل المحاورة على أن صاحبه قد وعظه

في الإيمان، والعمل الصالح فراجع له بالفخر عليه، والتطاول شأن أهل الغطرسية،

(١) روى الإمام أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات

لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه، وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله [قَدْ

سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا] إلى آخر الآية، وهكذا رواه البخاري في كتاب التوحيد

تعليقاً، تفسير ابن كثير: ٣٤٠/١.

(٢) انظر: لسان العرب: ١/٧٥٠-٧٥١، المعجم الوسيط: ٢٠٥-٢٠٦.

والنقائص أن يعدلوا عن المجادلة بالتي هي أحسن إلى إظهار العظمة والكبرياء^(٣).
وأما اسم المخالف فهو من دلالة فعل الخلاف الذي من معانيه في اللغة ما يلي:
الخلاف: خُلف: الخلف ضد قدام. خَلَفه تخلفه: صار خلفه، واختلفه أخذه من خلفه. قال
للحياتي: هو يختلفني النصيحة أي يخلفني.
التخلف: التأخر.

الخَلْفُ لا يكون إلا من الأشرار [فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا
الشَّهَوَاتِ . (٥٩)] مريم.

والخلف: الرديء من القول، الخلاف: المخالفة، والمضادة، وقد خالفه مخالفة وخلافاً.
تخالف الأمران، واختلفا لم يتفقا، وكل ما لم يتساوى فقد تخالف، واختلف.
والخلف والخلف: نقيض الوفاء بالوعد، وهو من الإخلاف ورجل مخلف أي كثير
الإخلاف لوعده. الخالفة: اللجوج من الرجال^(٤).

قال ابن عاشور: الاختلاف: افتعال أريد به شدة التخالف، ولا يعرف لمادة هذا المعنى
فعل مجرد، وهي مشتقة من الاسم الجامد وهو الخلف لمعنى الوراء، فتعين أن زيادة التاء
للمبالغة مثل: (اكتسب) مبالغة في كسب، فيحمل على خلاف تشديد، وهو مضادة ما جاء به
الدين، وما دعا إليه الرسول ﷺ^(٥).

(٣) التحرير والتنوير: ٣٢٠/١٥.

(٤) انظر: لسان العرب: 882-887/٢، المعجم الوسيط: ٢٥٠-٢٥٢، التحرير والتنوير:
٢٨٢/١١.

(٥) التحرير والتنوير: ٢٨٢/١١.

الفصل الأول: أمثلة من هديه ٢ في حوارهِ مع اليهود.

تمهيد:

في عرض أمثلة من حوارات النبي ٢ مع اليهود بيان لنماذج الحوار المثالية التي صدرت عن الأسوة الحسنة ٢ مع طائفة اليهود أشد الناس عداوة للمؤمنين كما قال تعالى: [لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ . . . (٨٢)] المائدة.

فعلى المؤمن المدافع عن سنة نبيه ٢ أن يتأمل هذه الحوارات، ويأخذ منها ما يعنيه على فهم صفات اليهود، وأساليب مكرهم وخبثهم؛ لما لليهود الآن من وجود فعلي في عمق الأراضي الإسلامية، بل والتأثير البالغ على المستوى العالمي في أهم نواحيه الاقتصادية، والإعلامية، والثقافية، والعسكرية، ونحوها، وهم يبذلون كافة ما يستطيعونه بالتخطيط والتدبير من أجل البقاء، والاستيلاء، والغلبة، وهم على هذا النحو في كل الأزمنة والأمكنة، وقد ذكر القرآن الكريم جميع أوصاف اليهود وطبائعهم بأوضح البيان، وأدق التفاصيل فكان أعلم الناس بفقهِ التعامل معهم من كان خلقه القرآن ٢، ومن ذلك أسلوب الحوار الذي يُعد الوسيلة الأولى في التخاطب لإظهار الحق، وإزهاق الباطل، وإقامة الحجة والبرهان، وسنجد في الأمثلة الآتية من الحوارات حقيقة ذلك كله فنبدأ مستعين بالله سبحانه وتعالى.

المبحث الأول: المثل الأول: إسلام عبدالله بن سلام t .

المطلب الأول: حديث إسلام عبدالله بن سلام t .

عن أنس t قال: سمع عبدالله بن سلام يثدوم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: ((إني سأئلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل أنفاً، قال جبريل؟ قال: نعم. قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة فقراً هذه الآية [من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله. . .] أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزع. قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله يا رسول الله: إن اليهود قوم بهت، وإنهم إن تعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم بيهوني، فجاءت اليهود فقال النبي ﷺ أي رجل عبدالله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا. قال: أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟ فقالوا: أعاده الله من ذلك فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فقالوا شرتنا وابن شرتنا، وانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله (٦).

المطلب الثاني: هديه ﷺ في هذا الحوار.

أولاً: علمه ﷺ المستمد من علم الله عز وجل، عن طريق الوحي، وبدا ذلك في إجابته ﷺ عن الأسئلة معلماً بأن جبريل عليه السلام أخبره بها فتطابقت الإجابة مع ما ذكر في التوراة، وقد حفظ العلم الذي يحتاجه أتباع النبي ﷺ في كتاب الله وسنة رسوله حفظاً يمكنهم من الرجوع له، والاعتماد عليه في الحوار مع اليهود.

ثانياً: كان من هديه ﷺ في هذا الحوار منح الوقت الكافي للحوار والاستماع والوصول إلى النتائج. فقد سمع عبدالله بن سلام وأجابه، وانتظر يهود وسألهم وسمع منهم. ثالثاً: صبره عليه السلام فعندما سمع اتهام اليهود لجبريل عليه السلام تلا الآية ولم يصدر عنه لعن أو شتم.

رابعاً: معاملته للناس بما ظهر له منهم، مع حسن الظن بهم، فقد تعامل مع عبدالله بن سلام من أول إسلامه تعاملًا مبيناً على الثقة، وسمع مشورته في بيان بهت اليهود عندما سأله عن عبدالله بن سلام t .

خامساً: لم يغفل عليه الصلاة والسلام في هذا الحوار دعوتهم إلى الإسلام بطريق غير مباشر، وذلك عندما سمع ثناءهم على ابن سلام أعقب ذلك بقوله: أرأيتم إن أسلم؟ ولعله طمع في أن يتبعوه بعد أن شهدوا له بالخير، وهذا من المبادئ التي ينبغي أن يعنى بها المدافعون عن سنة رسول الله ﷺ مع مخالفيهم فلعلهم بهذه الرغبة في الخير والنصح يتألفوا القلوب، فتتقلب العداوة والبغضاء إلى حب وولاء.

سادساً: تحلى ﷺ بخلق الحلم فنهاية الحوار لم يعقبها انتقام أو ردود فعل شديدة يستحقونها جزاء ما صدر منهم من ذميم القول والفعل.

المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ﷺ .

من حوار عبدالله بن سلام t مع النبي ﷺ وكان حبراً من أحبار اليهود دلالات تشير أن بعض اليهود لديهم الرغبة في الوصول إلى الحق، وإن كانوا قلة وقد أنصفهم الله في قوله [وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بدينارٍ لا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا]

(٦) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب قوله (من كان عدواً لجبريل) رقم الحديث ٤٤٨٠ .

مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) [آل عمران .

فبالتأمل في حوارهم في حديث ابن سلام t تبرز لنا بعض أساليب اليهود في الحوار كما يلي:

أولاً: أن العلم النافع نور يهدي بإذن الله صاحبه إلى الحق إذا اقترن بحسن النية، فابن سلام ساقه علمه بما في التوراة إلى السؤال عن أمور علق هدايته على إجابتها، فلما تبين له الحق أسلم طوعاً ورغبة وحباً، فعلى المؤمن المحاور ألا يفقد الأمل في رجوع المخالف إلى الحق بإذن الله.

ثانياً: ضرورة العلم بما في التوراة لمن عزم على الحوار معهم، والدفاع عن السنة حتى تكون له معيناً على الحوار والرد، وكشف الشبهة، مع ما طرأ على التوراة من التحريف إلا أنه يفهم من حديث ابن سلام وجود بعض العلم الصحيح المطابق مع ما جاء به في القرآن الكريم.

ثالثاً: إيمان اليهود بالساعة وأشراتها، والجنة والنار، وهذه ميزة انفرد بها أهل الكتاب من غيرهم من الكفار؛ لذا لزم أن يراعي المحاور لهم هذا الجانب، لأن التوافق الذي تضمنته الكتب المنزلة يمكن أن يستدل به في محاوراة أتباع هذه الكتب فقد رد رسول الله ﷺ تهمة عداوة اليهود لجبريل عليه السلام بأية كريمة [قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ (٩٧)] البقرة.

فإن أمنوا وصدقوا فخير، وإن كابروا وعاندوا فشر كسيوه لأنفسهم، وفي هذا توجيهه وتبنيه للداعين إلى الحوار مع الطوائف الأخرى الذين يلتزمون الحوار العقلي والمنطقي فقط دون الرجوع إلى الأدلة النقلية.

رابعاً: اتصاف اليهود بالبهت^(٧) كما وصفهم بذلك أحد أحبارهم - ابن سلام - t لا يمنع المحاور لهم من تصديق من يؤمن منهم بالله، ويرجع إلى الحق والأخذ بمشورته ولو كان ذلك في نفس المجلس.

فها هو ابن سلام t يؤمن، ثم يشير إلى رسول الله ﷺ باختبار يهود قبل إعلان إسلامه، وقد أخذ رسول الله ﷺ بذلك، فكانت النتيجة السريعة في كشف بهت اليهود.

خامساً: جراءة اليهود في الباطل، وعليه فإن المحاور ينبغي أن يتوقع جميع ما يصدر منهم من أقوال شنيعة، لئلا تكون له ردة فعل شديدة قد تؤثر على سير الحوار فعندما سأل رسول الله ﷺ اليهود بقوله: (أرأيتم إن أسلم عبدالله بن سلام؟ فقالوا: أعاده الله من ذلك. . . الخ الحديث.

(٧) (البهت، والبهتان): الكذب المفترى، المعجم الوسيط: ٧٣.

المبحث الثاني: المثال الثاني.

المطلب الأول: حديث رجم الزاني والزانية من اليهود.

عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاؤوا إلى النبي ٢ برجلٍ منهم وامرأةٍ قد زنياً، فقال لهم: كيف تفعلون بمن زنى منكم؟ قالوا: نحممهما، ونضربهما. فقال: أما تجدون في التوراة الرجم؟ فقالوا: لا نجد فيها شيئاً. فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم، فأثروا بالتوراة فاثلوها إن كنتم صادقين، فوضع مدراسها الذي يدرسها منهم كفة على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده، وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم فنزع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم فأمر بهما فرجماً قريباً من حيث موضع الجنائز عند المسجد، قال: فرأيتُ صاحبها يحنأ عليها يقيها الحجارة ((. رواه البخاري (٨)، ومسلم (٩).

وفي رواية مسلم عن البراء بن عازب قال: مرَّ على النبي ٢ بيهوديٍّ محمماً مجلوداً، فدعاهم ٢ فقال: هكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم، قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم، فقال: أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حدَّ الزاني في كتابكم. قال: لا، ولو لا أنك تشدنتني بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنَّه كثر في أشرافنا فكننا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحدَّ، قلنا: تعالوا فلنجمع على شيءٍ نقيمهُ على الشريف والوضيع فجعلنا التَّحميم والجلد مكان الرجم فقال رسول الله ٢: اللهم إني أولُّ من أحيا أمرك إذ أمأته، فأمر به فرجم فأنزل الله عز وجل [يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر. . . إلى قوله إن أوتيتم هذا فخذوه] يقول: انثوا محمداً ٢ فإن أمركم بالتَّحميم والجلد فخذوه وإن أفتاكم بالرجم فأخذوا، فأنزل الله تعالى [ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون] (١٠) في الكفار كلها (١١).

المطلب الثاني: هديه ٢ في هذا الحوار.

أولاً: عند النظر في سبب إتيان اليهود إلى رسول الله ٢ ليحكم لهم، يتبين أن الرسول ٢ اشتهر عند الجميع بالسماحة واليسر، وحسن الخلق، مما دفع اليهود إلى اللجوء إليه ظناً منهم أن حكمه أيسر مما عندهم في التوراة، ويؤخذ من هذا وجوب التأسى بهديه ٢ لكل مسلم، وعلى أهل العلم وولاية الأمر أن يكونوا الأسبق والأكمل في هذا التأسى لأنهم قد تبوأوا مكاناً رفيعاً يجعلهم مقصودين من الناس، ولنا من هذا فائدة أهمية استخدام وسائل الاتصال الحديثة في الدعوة إلى الله، والدفاع عن سنة نبيه ٢، وخصوصاً عبر الشبكة العالمية (الانترنت)، والقنوات الفضائية، لأنها باتت من أفضل وسائل التواصل، والتحاو، والتأثير، فإذا تميزت بعض مواقع المسلمين بأدب الحوار، وضوابطه كان ذلك أدعى إلى إقبال عامة الناس من مسلمين وغيرهم إلى اللجوء إلى هذه المواقع، وأخذ العلم عنها،

(٨) كتاب التفسير، باب (قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين) رقم الحديث (٤٥٥٦)، ورواه في كتاب الحدود، باب الرجم في البلاط، برقم (٦٨١٩)، وباب أحكام أهل الذمة وإحصانهم إذا زنوا ورفعوا إلى الإمام برقم (٦٨٤١).

(٩) كتاب الحدود، باب الزنا، صحيح مسلم بشرح النووي حـ ٢٠٨/١١ - ٢٠٩.

(١٠) الآيات من قوله تعالى [يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر. . . إلى قوله: هم الفاسقون] ٤١ - ٤٧ من سورة المائدة.

(١١) كتاب الحدود، باب الزنا، صحيح مسلم بشرح النووي حـ ٢٠٩/١١ - ٢١٠.

والاستفسار عما يريدونه منها.

ثانياً: تسخيره ٣ للطاقت في الحوار، ففي هذا الحديث استفاد من ابن سلام t، وفي الرواية الأخرى دعا أحد علمائهم، وناشده الله أن يذكر حكم الرجم في التوراة وهذا الهدي يفيد أهل الحق في استغلال الوسائل المعينة لهم على بيان الحق وكشف الشبهة، ورد الباطل، ولو كانت من الوسائل المستعملة عند المخالف.

ثالثاً: مبادرته ٣ في سؤاله لليهود (كيف تفعلون بمن زنى منكم) يدل على الأناة، والفتنة والذكاء، وهي خصال يقتضيها الحوار للوصول إلى أفضل النتائج بأقصر الطرق.

رابعاً: في طلبه ٣ منهم حكم التوراة في الزنا دليل النظرة الثاقبة للأمور، فبعد ذكر الحكم قال عليه السلام (اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه) وفي رواية (فإني أحكم بما في التوراة) وفي هذا زيادة حجة على الخصم؛ إذ كانت الحجة عليه من كتابه، وفيه بيان خبث، ومكر كبرائهم عند عامتهم فكان ذلك أدعى إلى إظهار الحق، وإزهاق الباطل؛ ليهلك عن بيئته، ويحيا من حي عن بيئته.

خامساً: من هديه ٣ أن الحق إذا تبين وتعلق الأمر بإقامة حدٍّ من حدود الله أقامه دون محاباة أو مداينة، وهذا ينبغي أن يكون عندما يكون المحاور هو ولي الأمر الذي بيده تنفيذ الأحكام.

سادساً: في هديه ٣ أثناء حوارهم مع اليهود استعمال بعض الألفاظ الشرعية التي تناسب معتقدتهم، ومن ذلك مناشدته لأحد علمائهم بالله الذي أنزل التوراة على موسى ليتضح من هذا مراعاة أسلوب الحوار مع الطوائف بحسب ما يلائم كل واحدة منها.

المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ٣.

أولاً: التحايل على أحكام الله تعالى، واتباع الهوى برز ذلك جلياً في ذهابهم إلى رسول الله ٣ طلباً لحكم أخف مما في التوراة في حد الزنا.

ثانياً: يلاحظ هيمنة زعمائهم، وتلاعبهم بدينهم، وتلبسهم الحق بالباطل على عامتهم، وبذلهم أساليب عديدة للتعمية حتى لو اضطروهم ذلك للرجوع إلى المسلمين، وهذه نقطة ضعف لديهم استطاع أن يفعلها ضدهم بحكمته وفتنته.

ثالثاً: جرأتهم في إخفاء الحق عياناً جهاراً، ومن ذلك وضع مدارسهم يده على آية الرجم وقراءة ما دونها، دون خوف أو حياء.

رابعاً: اتصف عموم اليهود بالخبث والبهت، ولكن يبقى قلة منهم يقبلون الحق، ويعترفون به، فلا بد من معرفة هذا، وعدم إغفاله أثناء الحوار معهم، وقد ذكر أن اليهودي الذي ناشده الرسول ٣ واعترف؛ أنه أسلم، وقيل إن اسمه: عبدالله بن صوريا^(١٢).

(١٢) انظر: فتح الباري: ١٦٨/١٢-١٦٩.

المبحث الثالث: المثال الثالث.

المطلب الأول: من نصوص التوراة الموافقة للقرآن.

أ - عن عبدالله بن مسعود t قال: جاء حَبْرٌ من الأَحْبَارِ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجدُ أنَّ اللهَ يَجْعَلُ السماواتِ على إصْبَعٍ، والأَرْضينَ على إصْبَعٍ، والشَّجَرَ على إصْبَعٍ، والماءَ والثَّرَى على إصْبَعٍ، وسَائِرَ الخَلْائِقِ على إصْبَعٍ، فيقول: أنا المَلِكُ فَضَحَكَ النبي ﷺ حتى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَصْديقًا لِقَوْلِ الحَبْرِ، ثُمَّ قرَأَ رسولُ الله ﷺ [وما قَدَرُوا اللهَ حَقًّا قَدْرَهُ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ(٦٧)] الزمر. وفي رواية حتى بدت نواجذه تعجباً وتصديقاً لقوله (١٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لَمَّا قَدِمَ النبي ﷺ المَدِينَةَ وَجَدَ اليَهُودَ يَصُومُونَ عَاشُورَاءَ، فَسُئِلُوا عن ذلك فَقَالُوا: هذا اليَوْمُ الذي أَظْفَرَ اللهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ على فِرْعَوْنَ، وَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ، فَأَمَرَ(١٤)).

المطلب الثاني: هديه ﷺ في هذا الحوار.

أولاً: حسن تعامله ﷺ مع اليهود حيث يسمع لهم ويسأل عن أعمالهم، وإذا وافقت شرعة أخذ بها دون تردد أو كره بل يؤيده بما ورد في القرآن الكريم؛ لذا لزم على أتباعه أن يستنوا بسنته، ويأخذوا بهديه ﷺ، ويعملوا بالحق ولو صدر من المخالف.

ثانياً: ردة الفعل الإيجابية عند سماع المخالف إذا قال حقاً، فقد ضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً وتعجباً، ولعل في مثل هذا التصرف المعبر عن حسن المعشر إثارة لنفس المخالف تجعله يقترب أكثر من محاورته، ويسمع منه، ويراجعه عند الاستفسار وهذا مكسب من المكاسب ينبغي ألا يغفل عنها أهل الحق والإيمان.

ثالثاً: بحسن خلقه عليه الصلاة والسلام، وفضل علمه بنى الثقة عند الناس جميعاً بما فيهم خصومه، حتى جعل من بعضهم يأتي إليه ليعرض عليه بعض معتقداته.

المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ﷺ.

أولاً: أنه لا يزال لديهم بعض المعتقدات والعبادات الموافقة لشريعتنا، فعلى المحاور لهم أن يستوعب مثل هذه الأمور لتعينه على كسب الموقف.

ثانياً: جفاء الطبع لدى اليهود فقد خاطب الحبر رسول الله ﷺ بقوله: يا محمد فيتعين على المحاور معرفة ذلك والصبر عليه.

(١٣) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب (وما قدروا الله حق قدره)، برقم: ٤٨١١، ورواه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى (لما خلقت بيدي)، برقم: ٧٤١٥، ٧٤١٤، ورواه في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: (إن الله يمسك السماوات والأرض أن تزولا) برقم: ٧٤٥١، ورواه في كتاب التوحيد، باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم، برقم: ٧٥١٣.

(١٤) رواه البخاري في كتاب مناقب الأنصار، باب إتيان اليهود النبي ﷺ حين قدم المدينة، برقم: ٣٩٤٣، ورواية أخرى قريبة الألفاظ برقم ٣٩٤٢.

المبحث الرابع: المثال الرابع:

المطلب الأول: حديث محاولة قتله ٣ بالسم.

عن أبي هريرة t قال: لَمَّا فَتَحَتْ خَيْبَرَ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ ٣ شاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ٣ اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَاهُنَا مِنْ يَهُودٍ، فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَأَلْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ٣: مَنْ أَبُوكُمْ؟ قَالُوا: فُلَانٌ، فَقَالَ: كَذَبْتُمْ بَلْ أَبُوكُمْ فُلَانٌ، قَالُوا: صَدَقْتَ، قَالَ: فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا كَمَا عَرَفْتَهُ فِي أَبِيْنَا، فَقَالَ لَهُمُ: مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟ قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا ثُمَّ تَخَلَّفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ٣: اخْسِنُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لَا تَخَلَّفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا، ثُمَّ قَالَ: هَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيٌّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُكُمْ عَنْهُ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَالَ: هَلْ جَعَلْتُمْ فِي هَذِهِ الشَّاةِ سُمًَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ مَا حَمَلَكُمْ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا نَسْتَرِيحُ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيًّا لَمْ يَضُرَّكَ)) (١٥).

المطلب الثاني: هديه ٣ في هذا الحوار.

أولاً: التثبت، والتبين سمة برزت في هذا الحوار من لدن النبي ٣ مع يقينه ٣ من حالة الشاة المسمومة بواسطة الوحي، ولكنه تعليم لأمته، وزيادة في بيان ما عليه المخالف من الغدر والكيد والكذب.

ثانياً: غضبه في موطن الغضب، والردّ القوي عند الحاجة، ليقف المخالف عند حدّه، وقد وضح ذلك في إجابته عن أهل النار، وردّه عليه الصلاة والسلام عليهم، ولهذا يجدر بالمتصددين للدفاع عن سنته ٣ فهم النفسيات، وطريقة التعامل معها، كما ينبغي أن يكون التفاعل أثناء الحوار متلائماً مع نوعية الحوار.

ثالثاً: حرصه عليه الصلاة والسلام في طلب الصدق، وتكرار سؤاله (فهل أنتم صادقون؟) يدل على أن الصدق من أهم لوازم الحوار، وأن المحاور إن كان معروفاً عنه الكذب كاليهود لزم تكبيرهم بالصدق، وزيادة في إقامة الحجة، وكشف الحال كما أن المحاور ممن يمتثل نهج المصطفى ٣ ينبغي ألا يحيد عن مبادئ الحوار كلزوم الصدق فلا يشابه المحاور في كذبه.

المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ٣.

أولاً: من أساليبهم التصفية الجسدية لمن خالفهم دون تردد، أو نظر في العواقب وهذه خصلة عرف اليهود بها فلزم الحذر منهم، واليقين المطلق بثبوت هذه الخصلة فيهم، فجراتهم على قتل الأنبياء تؤكد لمن برز للحوار معهم أن يأخذ كافة الاحتياطات تجنباً لكيدهم وغدرهم.

ثانياً: أسلوب المراوغة والكذب برز واضحاً فيهم.

ثالثاً: تنوع أساليبهم بما يحقق مآربهم، فعندما انكشف أمرهم، حولوا خطابهم إلى رسول الله ٣ بما يجب من استعمال الكنية (أبالقاسم)، واستمروا عليها بعد ما سمعوا رده على إجابته عن أهل النار.

(١٥) رواه البخاري، في كتاب الجزية والموادعة، باب إذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم؟ برقم: ٣١٦٩، ورواه في كتاب المغازي، باب الشاة التي سمّت النبي ٣ بخيبر، برقم: ٤٢٤٩، ورواه في كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ٣ برقم: ٥٧٧٧.

المبحث الخامس: المثال الخامس.

المطلب الأول: حديث أسئلة حبر من أحبار اليهود.

روى مسلم في صحيحه أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبراً من أحبار اليهود، فقال السّلام عليك يا محمد. قال ثوبان: فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سمّاه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: إن اسمي مُحَمَّدُ الذي سمّاني به أهلي، فقال اليهودي: حيثُ أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: أينفعك شيءٌ إن حدثتُك؟ قال: أسمع بأذني فنكت^(١٦) رسول الله ﷺ بعودي معه، فقال: سل، فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم يُبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: هم في الظلمة^(١٧) دون الجسر، فقال فمّن أول الناس إجازة^(١٨)؟ قال: فقراء المهاجرين، قال اليهودي: فما تحقّهم^(١٩) حين يدخلون الجنة؟ قال: زيادة كبد الثون^(٢٠). قال: فما غذاؤهم على أثرها؟ قال: يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال فما شرابهم؟ قال: من عين فيها تُسمى سلسبيلاً^(٢١)، قال: صدقت، قال: وحيثُ أسألك عن شيءٍ لا يعلمه أحدٌ من أهل الأرض، إلا نبيٌّ أو رجلٌ، أو رجلان. قال: ينفَعُك إن حدثتُك؟ قال: أسمع بأذني، قال: حيثُ أسألك عن الولد؟ قال: ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعوا، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكراً بإذن الله، وإذا علا مني المرأة مني الرجل أننا بإذن الله، قال اليهودي: لقد صدقت، وإني لأتاني، ثم انصرف، فذهب، فقال رسول الله ﷺ: لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه ومالي علمٌ بشيءٍ منه، حتى أتاني الله به^(٢٢).

المطلب الثاني: هدية e في الحوار.

أولاً: هيئة المجلس هنا كما يبدو والله أعلم أن رسول الله e جالس بين أصحابه، وثوبان t واقف عنده، وقد جاء اليهودي، ووقف أمام رسول الله e يسأله، ولم يدع للجلوس، كما أنه لم يطلب ذلك، ويؤخذ من هذا أن أهل الحق ينبغي أن تكون لمجالسهم هيئة ووقاراً، مع تهيتها لاستقبال الناس أياً كانت مكانتهم، ولا يتنافى ذلك مع التواضع ولين الجانب الذي كان سمة من سمات النبي e الأمر الذي يطمئن به المخالف، حين يقدم على رسول الله e يحاوره، ويجادله.

ثانياً: تجاوز الأمور التي قد لا تكون ذات بال حال الحوار، وقد يؤدي التمسك بها إلى مفسدة تنتهي الحوار سريعاً دون نتيجة، وقد برز ذلك في أول الحوار عندما غضب ثوبان t

(١٦) يخط بالعود في الأرض ويؤثر به فيها، وهذا يفعله المفكر، وفي هذا دليل على جواز فعل هذا، وأنه ليس بمخل بالمروءة والله أعلم.

(١٧) الظلمة: الصراط.

(١٨) إجازة: جوازاً.

(١٩) تحقّهم: ما يهدى إلى الرجل ويخص به، ويلاطف.

(٢٠) الثون: الحوت: وجمعه نينان.

(٢١) سلسبيلاً: اسم للعين، قيل: شديدة الجري، وقيل: السلسلة اللينة، جميع بيان المفردات السابقة من شرح النووي على صحيح مسلم ٣/٢٢٦-٢٢٧.

(٢٢) صحيح مسلم بشرح النووي من كتاب الحيض، باب صفة ماء الرجل والمرأة، وأن الولد مخلوق من مائهما: ٣/٢٢٦-٢٢٨.

من اليهودي، لما دعا الرسول ﷺ باسم (محمد) وقد قال بعد ذلك رسول الله ﷺ (إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي) فعلى المدافعين عن سنة رسول الله ﷺ أن يكونوا ذوي فطنة وحكمة، ولا يقدموا عواطفهم على بصيرة عقولهم.

ثالثاً: حرص الرسول ﷺ على إيمان اليهودي، حيث كرر عليه السؤال (أينفعك إن حدثتك؟) وهذا الخلق العظيم ينبغي أن يتحلى به أتباع رسول الله ﷺ، والمدافعين عن سنته، وأن يقروا الدفاع عن السنة بالرغبة في هداية المخالف لاتباع السنة.

رابعاً: يبدوا في أول الحوار أن رسول الله ﷺ كان يتخذ من الأناة في الإجابة مع إعمال فكرة طريقة مثلاً في التحوار مع المخالفين، ولعلها من الوسائل المعنية على الإجابة الصحيحة البعيدة عن استقزاز المخالف، الذي قد يوقع محاوره في العنت بسبب أسئلته.

خامساً: كان في خاتمة الحوار بيانه ﷺ لأصحابه عن مرجعية الإجابات التي أوجب بها اليهود، حيث قال عليه السلام: (لقد سألتني هذا عن الذي سألتني عنه، ومالي علم بشيء منه حتى أتاني الله به) فدل هذا على ضرورة العلم والتفقه، فيما يعني به الحوار، وأن يكون المرجع مرجعاً ثباتاً يقينياً، والمسلم هو الوحيد الذي لديه المرجعية الحقة المتمثلة في الكتاب والسنة.

المطلب الثالث: من أساليب اليهود في الحوار.

أولاً: المحاور للنبي ﷺ حبر من أحبارهم، فهو يمثل أعلى الفئات في المجتمع اليهودي؛ لذا فهو يعكس غالباً طباعهم، وصفاتهم، وقد ظهر في أسلوبه الجفاء من بداية الحوار، فقد دعا رسول الله باسمه قائلاً: السلام عليك يا محمد.

ثانياً: المكابرة في الرد فعندما دفعه ثوبان t لقله حياته، رد قائلاً: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، وكما ظهر ذلك في إجابته: أسمع بأذني، وهذا من سوء الأدب الذي عرف به اليهود.

ثالثاً: تأكيد علم اليهود بأمور ذكرتها التوراة، ووافقت ما جاء به القرآن؛ لذا فإن معرفة مثل هذه الأمور جدير بأن يحيط بها المحاور، كي تكون عوناً له على النجاح في محاوره المخالف.

رابعاً: بدا في نهاية الحوار اعتراف الحبر بنبوته محمد ﷺ، وصدقه، ولكنه بقي على ملته، وانصرف، وفي هذا إشارة إلى توقع المحاور لما يبدر من مخالفه إن خيراً أو شراً، وأن المحاور يبذل جهده، ويدع النتائج لقدر الله تعالى.

الفصل الثاني: أمثلة من هديه ٢ في الحوار مع النصارى.

المبحث الأول: المثال الأول (وفد نصارى نجران).

المطلب الأول: حديث وفد نصارى نجران.

ذكر ابن كثير رحمه الله قصة وفد نصارى نجران عقب تفسير آية المباهلة [فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (٦١)] آل عمران.

فقد قال رحمه الله: (وكان سبب نزول المباهلة وما قبلها من أول السورة إلى هنا في وفد نجران: أن النصارى لما قدموا فجعلوا يحاجون في عيسى ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والإلهية، فأنزل الله صدر هذه السورة ردا عليهم، كما ذكره الإمام محمد بن إسحاق بن يسار وغيره: قال ابن إسحاق في سيرته المشهورة وغيره: وقدم على رسول الله ٢ وفد نصارى نجران ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم، يؤول أمرهم إليهم، وهم: العاقب وأسمه عبدالمسيح، والسيد وهو الأيهم، وأبو حارثة بن علقمة أخو بكر بن وائل، وأويس بن الحارث، وزيد، وقيس، ويزيد، وابنیه، وخويلد، وعمرو، وخالد، وعبدالله، ومحسن، وأمر هؤلاء يؤول إلى ثلاثة منهم وهم: (العاقب) وكان أمير القوم وذا رأيهم وصاحب مشورتهم والذي لا يصدرون إلا عن رأيهم، و (السيد) وكان عالمهم وصاحب رحلهم ومجتمعهم، و (أبو حارثة بن علقمة) وكان أسقفهم صاحب مدارسهم، وكان رجلا من العرب من بني بكر بن وائل ولكنه تنصر، فعظمت الروم وملوكها، وشرفوه وبنوا له الكنائس، وأخدموه لما يعلمونه من صلابته في دينهم، وقد كان يعرف أمر رسول الله ٢ وصفته وشأنه مما علمه من الكتب المتقدمة، ولكن حمله ذلك على الاستمرار في النصرانية، لما يرى من تعظيمه فيها وجاهه عند أهله، وقال: قدموا على رسول الله ٢ المدينة فدخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر عليهم ثياب الحبرات جيب وأردية من جمال رجال بني الحارث بن كعب قال: يقول من رآهم من أصحاب النبي ٢ ما رأينا بعدهم وفد مثلهم، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله ٢ فقال رسول الله ٢ (دعوهم) فصلوا إلى المشرق، قال: فكلّم رسول الله ٢ منهم أبو حارثة بن علقمة، والعاقب عبدالمسيح، والسيد الأيهم، وهم من النصرانية على دين الملك مع اختلاف أمرهم يقولون: هو الله؛ ويقولون: هو ولد الله ويقولون: هو ثالث ثلاثة، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا. وكذلك النصرانية فهم يحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحيي الموتى ويبرئ الأكمه، والأبرص والأسقام، ويخبر بالغيوب، ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا، وذلك كله بأمر الله، وليجعل الله آية للناس.

ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون: لم يكن له أب يعلم، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة يقول الله تعالى فعلنا وأمرنا وخلقنا وقضينا، فيقولون: لو كان واحدا ما قال إلا فعلت وأمرت وقضيت وخلقنت، ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاهلون علوا كبيرا - وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن، فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ٢ (أسلما) قالوا: قد أسلما، قال: (إنكما لم تسلما فأسلما) قالوا: بلى قد أسلما قبلك، قال: (كذبتما يمنعكما من الإسلام ادعاؤكما لله ولدا وعبادتكما الصليب، وأكلكما الخنزير) قالوا: فمن أبوه يا محمد؟ فصمت رسول الله ٢ عنهما فلم يجبهما، فأنزل الله في ذلك من قولهم وإختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران إلى بضع وثمانين آية منها، ثم تكلم ابن إسحاق على تفسيرها إلى أن قال: فلما أتى رسول الله ٢ الخبر من الله، والفصل من القضاء بينه وبينهم، وأمر بما أمر به

من ملاعنتهم أن ردوا ذلك عليه دعاءهم إلى ذلك، فقالوا: يا أبا القاسم دعنا ننظر في أمرنا ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا إليه، ثم أنصرفوا عنه، ثم خلوا بالعاقب وكان ذا رأيهم فقالوا: يا عبدالمسيح ماذا ترى؟ فقال: والله يا معشر النصارى لقد عرفتم إن محمداً لنبى مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم، ولقد علمتم أنه ما لآعن قوم نبيا قط فبقى كبيرهم ولا نبت صغيرهم، وإنه الإستئصال منكم إن فعلتم، فإن كنتم أبيتم إلا ألف دينكم، والإقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم فوادعوا الرجل وأنصرفوا إلى بلادكم، فأتوا النبي ٣ فقالوا يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك، ونرجع على ديننا، ولكن أبعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء أختلفنا فيها في أموالنا فإنكم عندنا رضا، قال محمد بن جعفر: فقال رسول الله ٣: (اتوني العشية أبعث معكم القوي الأمين) فكان عمر بن الخطاب t يقول: ما أحببت الإمارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها فرحت إلى الظهر مهجرا فما صلى رسول الله ٣ الظهر سلم ثم نظر عن يمينه وشماله، فجعلت أطاول له ليراني، فلم يزل يلتمس ببصره، حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح فدعاه فقال: (اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه) قال عمر: فذهب بها أبو عبيدة t.

وقد روى ابن مردويه من طريق محمد بن إسحاق، عن عاصم بن عمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد، عن رافع بن خديج، أن وفد أهل نجران قدموا على رسول الله ٣ فذكر نحوه إلا أنه قال في الأشراف: كانوا اثني عشر، وذكر بقيته بأطول من هذا السياق وزيادات أخر. وقال البخاري: حدثنا عباس بن الحسين، حدثنا يحيى بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة t قال: جاء العاقب والسيد صاحبنا نجران إلى رسول الله ٣ يريدان أن يلاعنا، قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فو الله لئن كان نبيا فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبننا من بعدنا، قالوا: إنا نعطيك ما سألتنا وأبعث معنا رجلا أميناً ولا تبعث معنا إلا أميناً، فقال: (لأبعثن معكم رجلا أميناً حق أمين) فاستشرف لها أصحاب ٣ فقال: (قم يا أبا عبيدة بن الجراح) فلما قام قال رسول الله ٣: (هذا أمين هذه الأمة) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث إسرائيل عن أبي إسحاق عن صلة عن حذيفة بنحوه.

وقال البخاري: حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس، عن رسول الله ٣ قال: (لكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح). وقال الإمام أحمد: حدثنا إسماعيل بن يزيد الرقي أبو يزيد، حدثنا فرات، عن عبدالكريم ابن مالك الجزري، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: قال أبو جهل قبحة الله إن رأيت محمداً يصلي عند الكعبة لأتينه حتى أطأ على رقبته قال: فقال (لو فعل لأخذته الملائكة عياناً ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ٣ لرجعوا لا يجدون مالا ولا أهلاً) وقد رواه البخاري والترمذي والنسائي من حديث عبدالرزاق عن معمر بن عبدالكريم به، وقال الترمذي: حسن صحيح^(٢٣).

المطلب الثاني: هديه e في هذا الحوار.

أولاً: كسب المخالف بحسن الخلق من أول اللقاء، وذلك لما قدم الوفد وأراد الصلاة في المسجد أذن رسول e مع مخالفتهم لقبلة المسلمين، فقد صلوا إلى المشرق باتجاه بيت

(٢٣) تفسير القرآن العظيم: ٣٧٦/١-٣٧٧، وانظر: صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب قصة أهل نجران، ورقم الحديث: (٤٢٨٠).

المقدس، وهنا تتجلى عمق نظرة الرسول ﷺ حيث أن المخالف (النصارى) لديهم مخالفة الاعتقاد، وهي أعظم مخالفة من مخالفة استقبال القبلة فأمر رسول الله ﷺ بتركهم يصلون كيفما وحيثما شاءوا؛ لذا فليتنبه الداعون إلى الله، والمدافعون عن سنة رسول الله ﷺ إلى فقه الأولويات، والعناية بالضروريات أثناء الحوار.

ثانياً: الأناة والحلم اللذان تحلى بهما رسول الله ﷺ، وذلك عندما أعطى الوقت والمهلة للوفد بعد وصوله في أن يأخذ وقته في أداء شعائره التعبدية رغم مخالفتها الصريحة لما عليه ﷺ، وهذا درس عظيم لأتباعه في التحلي بهذه الصفات، حتى يرى منهم ما يؤثر على نفس المخالف قبل بدء الحوار.

ثالثاً: دعوته ﷺ لكبار شخصيات الوفد، وقد خصّهما بذلك، حيث كلم رسول الله ﷺ أحبارهم ودعاهم إلى الإسلام، وبين لهم حقيقته، وبطلان ما يعتقدونه، وهذه خطوة أولى ممكن أن تعمل من قبل المحاور للمخالفين، وتحتاج إلى فهم الوضع الذي عليه المخالف، حتى يمكن التعامل بالأنسب معه، كما أن في هديه ﷺ إرشاد إلى وجوب العلم بالحق، ومعرفة إزهاق الباطل بالحجة والبرهان، فلا يتصدى للدفاع عن السنة إلا من آتاه الله علماً وحكمة، حتى يطبق فقه الدعوة والحوار.

رابعاً: كان من هديه ﷺ أن إذا سئل عن شيء لم يعلم جوابه ينتظر، حتى يأتي الوحي بالخبر اليقين، وقد حصل ذلك مع هذا الوفد، ويؤخذ من هذا أمران: أحدهما: تمام هذا الدين وكماله، فلم يبق شيء يستدعي الوحي لبيانه. والآخر: التأني في الإجابة، وعدم الإجابة بغير علم، وقد يستدعي الأمر إلى الانتظار، للتشاور، والرجوع إلى من يعلم للإفادة منه، وأن هذا لا ينقص من قدر المحاور، بل هو دليل على التثبت، والصدق، والتماس الحق.

خامساً: قد وصل رسول الله ﷺ مع مخالفه إلى طريق مسدود، فاتخذ معهم الملاعنة، وهذا من دروس الحوار مع المخالف، حيث إن المحاور يبذل أقصى جهده في دعوة مخالفه، وقد لا يصل معهم إلى نتيجة ترضيه، فعليه أن يرضى ويسلم بقضاء الله وقدره، ويكون قد أقام الحجة، وأدى الأمانة.

سادساً: تجاوب الرسول ﷺ مع مخالفه، حتى مع إصرارهم وعنادهم، مادام أنه يرى في الأمر خيراً، وذلك لما طلبوا منه أن يرسل معهم رجلاً يحتكمون إليه، فاختر لهم أباً عبيدة t، وأطلق عليه (أمين هذه الأمة)، وهذا من النصح والصدق مع المخالف رجاء أن ينتفعوا به.

وهذا درس عظيم يحمل دلالات منها:

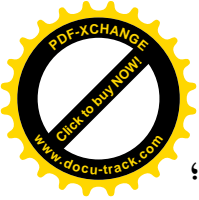
عدم غلق الأبواب في وجه المخالف، والتجاوب معه فيما يرجى نفعه، والحرص على هدايته، وبذل أقصى المستطاع في دعوته، وبناء الثقة معه والصدق والأمانة في تحقيق طلبه؛ علماً أن جميع ما ذكر قد بناه رسول الله ﷺ على ما رآه في الوفد الذي مكث مدة ليست يسيرة، فلعله تبين له ﷺ من الأمور المطمئنة التي دعتة إلى فعل ما أشرت إليه آنفاً.

المطلب الثالث: من أساليب النصارى في هذا الحوار.

أولاً: الجراءة والمجاهرة بالاعتقاد أمام مخالفهم، وقد ظهر ذلك جلياً في عدة مواقف من هذا الحوار كاستقبالهم المشرق داخل المسجد النبوي، وكادعائهم الإسلام ونحو ذلك.

ثانياً: ظهور مبدأ الشورى لديهم، والتمهل في اتخاذ القرار.

ثالثاً: انتفاعهم ببعض ما عندهم من علم نافع، فقد امتنعوا من الملاعنة، لما ثبت لديهم من خطورة هذا الفعل.



رابعاً: تأثرهم بعض الشيء بما رأوه من حسن الخلق وصدق الحديث، وطيب المعاملة؛ وقد تمثل هذا التأثير في طلبهم رجلاً من المسلمين، ليحكم بينهم في بعض ما اختلفوا فيه.

خامساً: نقاشهم العقلي يدل على إمكانية الحوار معهم، وتوقع نتائج مناسبة بعده، فقد اعترف أحد أحبارهم بصدق رسالة النبي e ، وشاور قومه في ذلك.

سادساً: الاعتراف بالحق، والجهر به دون تردد، ومن ذلك قولهم (فإنكم عندنا رضا).

المبحث الثاني: المثل الثاني: قدوم عدي بن حاتم إلى رسول الله ﷺ

المطلب الأول: حديث قدوم عدي بن حاتم إلى رسول الله ﷺ

لما من رسول الله ﷺ على سقانة أخت عدي بالعتق، وتركها تذهب إلى قومها في الشام، ذهبت وطلبت من أخيها عدي أن يرحل إلى رسول الله ﷺ ليسلم، فذهب إلى المدينة حتى جاء المسجد النبوي فسلم عليه فقال: (من الرجل؟) فقلت: عدي بن حاتم فقال لي: (يا عدي أسلم تسلم) ثلاثاً، فقلت: إني علي دين قال: (أنا أعلم بدينك منك!! ألت ركوسياً، وأنت تأكل مرباع قومك؟^(٢٤)) قلت: بلى، قال: (هذا لا يحل لك في دينك) قلت: نعم، وكان رأى من تواضع النبي مع الناس ومعه ما جعله يعتقد أنه نبي مرسل، يعلم ما يجهل، وليس بملك.

ثم قال النبي ﷺ: (لعلك يا عدي إنما يمنعك من دخول هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فو الله ليوشكنَّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه، ولعلك إنما يمنعك من دخولك فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم، فو الله ليوشكنَّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بغيرها حتى تزور هذا البيت، ولعلك إنما يمنعك من دخولك فيه أنك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم، وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم)، فأسلم وحسن إسلامه، وشارك في فتح بلاد فارس^(٢٥).

المطلب الثاني: هديه ﷺ في هذا الحوار.

أولاً: دعوة النبي ﷺ المباشرة لعدي إلى الإسلام، لما رأى من إقباله، وقدمه بنفسه، فتأمل ﷺ فيه خيراً.

ثانياً: معرفته ﷺ بما عليه النصارى بشكل عام، وعدي بشكل خاص مكنه من ذكر ما عليه حال الدين.

ثالثاً: ظهور بعض الصفات العظيمة التي رآها عدي في رسول ﷺ كالتواضع، جعلته يفكر في الإسلام ملياً.

رابعاً: البشائر التي ذكرها الرسول ﷺ وهي من خصائصه عليه السلام في الإخبار ببعض ما يكون في المستقبل لما يوحى إليه ﷺ.

وعندما نتأمل ما ذكر من هديه ﷺ في هذا الحوار يتوجب على من تصدى للحوار مع المخالفين أن يأخذوا بهديه عليه السلام في حسن الخلق، وفي معرفة أحوال المخالفين، والطمع في هدايتهم واستعمال أسلوب البشارة والتفاؤل.

المطلب الثالث: من أساليب النصارى في هذا الحوار.

النصارى لا يستوون في تمسكهم بدينهم، أو نقصهم فهم متفاوتون كما هو الحال في جميع الطوائف غالباً، ونحن هنا مع أحد أصنافهم الذين تميزوا بحسن الخلق والرغبة في الحق، والتأثر الإيجابي بالمواقف الحسنة، فعدي بن حاتم معدنه أصيل فقد عرف والده بالكرم، وضرب به المثل، وقد جاء بنفسه مسافراً قاصداً مقابلة رسول الله ﷺ بعد أن هرب، وأمن في بلده، وعند قومه، فمثل هذا الصنف من النصارى ينبغي أن يتميز التعامل معهم من قبل المحاور المسلم، لأنهم قريبون جداً من الدين.

(٢٤) الركوسية: دين بين النصارى والصابئة، والمرباع: الغنيمة.

(٢٥) انظر: السيرة النبوية د/محمد بن محمد أبو شهبة ٥٤٩/٢ - ٥٥٠.

الفصل الثالث: أمثلة من هديه ٢ في الحوار مع الكفار.

تمهيد:

الكفر^(٢٦) لفظ تكرر وروده في القرآن الكريم كثيراً، وغلب استعماله في جحود النعم، وأعظمها نعمة الإيمان، كما أنه يتناول كل من رغب عن ملة الإسلام فيدخل فيه أهل الكتاب وغيرهم ممن لم يتبع ملة نبينا محمد ٢ ولكني عنيت في هذا الفصل بكفار قريش، وأمثالهم، حيث دارت بينهم وبين رسول الله ٢ حوارات تجلى من خلالها حسن هديه عليه السلام معهم، وسبل حوارهم معه ٢، فأبدأ مستعيناً بالله ومع المطلب الأول.

المطلب الأول: المثال الأول: حوار صلح الحديبية.

روى البخاري من طريق عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، ومروان - يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه - قالوا: (خرج رسول الله ٢ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبي ٢: إن خالد بن الوليد بالغيم في خيل لفرش طليعة، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقرية الجيش، فانطلق يركض نديراً لفرش، وسار النبي ٢ حتى إذا كان بالنبيّة التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حل حل، فألحت. فقالوا خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ٢: (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل) ثم قال: (والذي نفسي بيده، لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها) ثم زجرها فوثبت.

قال فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء، يبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبثه الناس حتى نرحوه، وشكى إلى رسول الله ٢ العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، فوالله ما زال يحيش لهم بالرّي حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك، إذ جاء بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه من خزاعة - وكانوا عيبة نصح رسول الله ٢ من أهل تهامة - فقال: اني تركت كعب بن لؤي، وعامر بن لؤي، نزلوا أعداد مياه الحديبية، ومعهم العود المطافيل، وهم مقاتلوك وصادوك عن النبي، فقال رسول الله ٢: (إننا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن فرشنا قد نهكتهم الحرب وأضررت بهم، فإن شأوا ماددناهم مدة، ويحلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر، فإن شأوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا فوالذي نفسي بيده لا قاتلتهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي وليفتن الله أمره) فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، قال فانطلق حتى أتى فرشاً قال: إننا قد جئناكم من هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلاً، فقال سقهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ٢ فقام عروة بن مسعود فقال: أي قوم ألسنتم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولست بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تنهمونني؟ قالوا: لا، قال ألسنتم تعلمون أي استنفرت أهل عكاظ، فلما بلحوا علي جئكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض لكم خطة رشد قبلوها ودعوني آتية، قالوا آتية، فأتاه فجعل يكلم النبي ٢ فقال النبي ٢ نحواً من قوله ليديل، فقال عروة عند ذلك: أي محمد، رأيت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن

(٢٦) كفر الشيء وكفره: غطاه، يقال كفر السحاب السماء، وكفر المتاع في الوعاء، وكفر الليل بظلامه، وليل كافر، وكفرت الريح الرسم والفلاح الحب وأعظم الكفر جحود الوجدانية أو النبوة أو الشريعة. . . الخ، انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجدالدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة ٨١٧هـ. ح ٣٦١/٤ - ٣٦٥.

الأخرى، فأبى والله لأرى وجوهاً، وأبى لأرى أشواها من الناس خليفاً أن يفرّوا ويَدَعُوكَ، فقال له أبو بكر: امصصُ ببظر اللات، أنحنُ نفرُّ عنه ونَدَعُهُ؟ فقال من ذا؟ قالوا: أبو بكر. قال: أما والذي نفسي بيده، لو لا يدُ كانت لك عذبي لم أجزك بها لأجبتك، قال وجعل يكلمُ النبي ٣ فكلما تكلم أخذ يلحني، والمغيرة بن شعبة قائمٌ على رأس النبي ٣ ومعه السيفُ وعليه المغفرُ، فكلما أهوى عروهُ بيده إلى لحيّة النبي ٣ ضربَ يدهُ بنعل السيف وقال له أحرُ يدك عن لحيّة رسول الله ٣ فرقع عروهُ رأسه فقال: من هذا؟ قال: المغيرة بن شعبة. فقال: أي عُدرُ، ألسنتُ أسعى في عُدرتك؟ وكان المغيرة صحبَ قومًا في الجاهليّة فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ٣ أما الإسلام فأقبل، وأما المال فاست منه في شيء، ثم إن عروهُ جعل يرمقُ أصحاب النبي ٣ بعينيه. قال فوالله ما تنحّم رسول الله ٣ نخامة إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدثون إليه النظرَ تعظيماً له، فرجع عروهُ إلى أصحابه فقال: أي قوم، والله لقد وقّدت على الملوك، ووقّدت على قيصر وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظّمه أصحابه ما يعظّم أصحاب محمد ٣ محمداً، والله إن تنحّم نخامة إلا وقعت في كف رجلٍ منهم فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعوا كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدثون إليه النظرَ تعظيماً له، وإنه قد عرضَ عليكم خطّة رشيدٍ فاقبلوها، فقال رجلٌ من بني كنانة: دعوني آتية فقالوا: آتية فلما أشرف على النبي ٣ وأصحابه قال رسول الله ٣ هذا فلان، وهو من قوم يعظّمون البدن، فابعثوها له، فبعثت له، واستقبله الناس يلثون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدّوا عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قلدت وأشعرت، فما أرى أن يصدّوا عن البيت، فقام رجلٌ منهم يقال له مكرزُ ابن حفص فقال: دعوني آتية. فقالوا: آتية فلما أشرف عليهم قال النبي ٣: هذا مكرز، وهو رجلٌ فاجرٌ، فجعل يكلمُ النبي ٣. فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيلُ بن عمرو قال معمرٌ فأخبرني أيوبُ عن عكرمة أنه لما جاء سهيلُ بن عمرو قال النبي ٣: لقد سهل لكم من أمركم، قال معمرٌ: قال الزهريُّ في حديثه فجاء سهيلُ بن عمرو فقال هاتِ كُتُبَ بَيْننا وَبَيْنكم كتاباً، فدعا النبي ٣ الكاتبَ، فقال النبي ٣ (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، فقال سهيلٌ: أما (الرحمنُ) فوالله ما أدري ما هي، ولكن اكتب (باسمك اللهم) كما كنت تكتبُ فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) فقال النبي ٣ اكتب (باسمك اللهم)، ثم قال هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسول الله، فقال سهيلٌ (والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صدّدناك عن البيت ولا قاتلناك ولكن اكتب (محمد بن عبدالله)، فقال النبي ٣: والله إني لرسولُ الله وإن كذبتموني، اكتب (محمد بن عبدالله)، قال الزهريُّ: وذلك لقوله (لا يسألونني خطّة يعظّمون فيها حرّمت الله إلا أعطيتهم إياها) فقال له النبي ٣: على أن تُخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به. فقال سهيلٌ: والله لا تتحدّث العربُ أنّا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب فقال سهيلٌ: وعلى أنه لا يأتيك منّا رجلٌ - وإن كان على دينك - إلا ردّته إلينا قال المسلمون: سبحان الله، كيف يردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسفُ في قيوده، وقد خرج من أسفل مگة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيلٌ: هذا يا محمد أول ما أقضيك عليه أن تردّه إلي، فقال النبي ٣: إنّما لم تقض الكتاب بعد، قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ٣: فأجزه لي، قال ما أنا بمجيزه لك، قال بلى فافعل، قال ما أنا بفاعل، قال مكرزٌ: بل قد أجزناه لك، قال: أبو جندل: أي معشر المسلمين، أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً؟ ألا ترون ما

قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله. قال: فقال عمرُ بن الخطاب: فأنت نبي الله، فقلت: ألسنت نبي الله حقاً؟ قال: بلى، قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: فلم نُعطي الدنْيَةَ في ديننا إذا؟ قال إني رسول الله ولستُ أعصيه، وهو ناصري قلت: أوليس كنتُ تُحدِّثنا أنَّ سنأتي البيتَ فنطوفُ به؟ قال: بلى، فأخبرتكُ أنا نأتيه العام؟ قال قلت: لا، قال فإنك أتته ومطوفٌ به، قال: فأنتُ أبا بكرٍ فقلت: يا أبا بكرٍ أليس هذا نبي الله حقاً؟ قال: بلى. قلت: ألسنا على الحقِّ وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلت: فلم نُعطي الدنْيَةَ في ديننا إذا؟ قال: أيها الرجلُ إنه لرسولُ الله ٢ ولستُ يعصي ربَّه، وهو ناصره، فاستمسكُ بعرزهِ فوالله إنه على الحقِّ. قلت أليس كان يُحدِّثنا أنَّ سنأتي البيتَ ونطوفُ به؟ قال: بلى، فأخبركُ أنك تأتيه العام؟ قلت: لا. قال فإنك أتته ومطوفٌ به.

قال الزُّهريُّ: قال عمرُ: فعملتُ لذلكُ أعمالاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ٣: لأصحابيه: قوموا فاتحروا، ثم احثوا. قال فوالله ما قام منهم رجلٌ حتى قال ذلك ثلاث مرَّاتٍ، فلما لم يَعمُ منهم أحدٌ دخل على أمِّ سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أمُّ سلمة: يا نبي الله أحبُّ ذلك؟ أخرج لا تكلمُ أحدًا منهم كلمة حتى تتحرَّ بُدْئك، وتَدْعُو حالكَ فيحلقك. فخرج فلم يكلمُ أحدًا منهم حتى فعل ذلك: نحر بُدْته، ودعا حلقه فحلقه. فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً ثم جاءه نِسوةٌ مؤمناتٌ، فأنزل الله تعالى [يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ - حتى بَلَغَ - يعصم الكوافر (١٠)] الممتحنة.

فطلق عمرُ يومئذٍ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان والأخرى صفوان بن أمية، ثم رجع النبي ٣ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير رجلٌ من قريش وهو مسلمٌ، فأرسلوا في طلبه رجلين فقالوا: العهد الذي جعلنا لنا فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال: أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لا أرى سيفك هذا يافلاً ن جيداً، فاستلته الآخر فقال: أجل والله إنه لجيدٌ، لقد جربتُ به ثم جربتُ. فقال أبو بصير: أرني أنظرُ إليه، فأمكنه منه فضربه حتى برد، وقرَّ الآخر حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ٣ حين رآه: لقد رأى هذا دعراً، فلما انتهى إلى النبي ٣ قال: قتلَ والله صاحبي وإني لمقتولٌ.

فجاء أبو بصير فقال: يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك قد رددتني إليهم، ثم أنجاني الله منهم. قال النبي ٣: ويلٌ أمهٍ مسعرَ حربٍ لو كان له أحدٌ، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سيف البحر. قال وينقلُ منهم أبو جندل بن سهيل فلقح بأبي بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجلٌ قد أسلم إلا لحق بأبي بصير حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله ما يسمعون يعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها. فقتلوه وأخذوا أموالهم. فأرسلت قريش إلى النبي ٣ تئاسدهُ بالله والرحم لما أرسل فمن أتاه فهو أمينٌ فأرسل النبي ٣ إليهم، فأنزل الله تعالى [وهو الذي كفَّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظركم عليهم - حتى بَلَغَ - الحمية حمية الجاهلية (٢٤)] الفتح. وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله، ولم يقرؤا بسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت (٢٧).

(٢٧) رواه البخاري في كتاب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم الحديث (٢٧٣١ - ٢٧٣٢).

المطلب الثاني: هديه ٢ في هذا الحوار.

أولاً: مراعاته ٢ للمكان، والحال، فالمكان مكة المكرمة، والحال الرغبة في أداء العمرة، لذا أعلنها ٢ بقوله: (والذي نفسي بيده، لايسألونني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها).

فما أعظم هذا الخلق الذي تسامى وتعالى قبل أن يقابل خصمه وعدوه، مع ما كان عليه من قوة ومنعة تمكنه من فتح مكة، وقهر مخالفيه، وهو في هذا درس عظيم للمدافعين عن سنته، أن يراعوا حالهم في تحاورهم، وتعاملهم مع مخالفيهم، وأن يهدفوا في المقام الأول إلى ما يحقق مصالح الدين، وأن يغفلوا عن إساءة لحقت بهم من مخالفيهم.

ثانياً: في أول لقاء مع أول وفد من الكفار، وكان يرأسهم بديل بن ورقاء الخزاعي يتبين مايلي:

١ - تحديد هدفه ٢ من قدومه إلى مكة بالعمرة، وليس القتال ليكون الخصم على بينة من هدف خصمه، مع علم المخالف بما اشتهر به عليه الصلاة والسلام من الصدق، وفيه ضرورة بيان المقاصد للمخالف قبل البدء في الحوار.

٢ - بيان علمه ٢ بحال عدوه مما هم عليه من الاستعداد للقتال أو عدمه، وفيه مراعاة حال المخالف، وطرح الحلول المثلى، لتجنب إراقة الدماء، وألوية الدعوة إلى الحق، مع تمني هداية المخالف.

٣ - رباطة جأشه ٢ وثباته على الحق، واستعداده المطلق للذود عنه، حتى لو بذل نفسه فداءً له، مع اليقين بنصرة الله وعونه، وتأيبه وغلبة أمره.

٤ - بلاغة أسلوبه ٢ وقوة ردّه، ووضوح مقاصده أفحمت الخصم، قلم يحر جواباً، فإيا حبذا هذه الصفات يتمتع بها أتباع محمد ٢ والمدافعين عن سنته.

ثالثاً: في اللقاء الثاني من أحد الموفدين من كفار قريش وهو عروة بن مسعود ويظهر من هديه ٢ في هذا الحوار ما يلي:

١ - ثبات الرسول ٢ على رأيه لاعتقاده بأنه الحق الذي لا يحاد عنه.

٢ - صبره ٢ على مخالفه - عروة بن مسعود - فما صدر من عروة جدير أن يستنقز، ويغيبظ، ولكنه ٢ صمت صبراً، فقد كان من حوله يقومون بدور عظيم في الدفاع، والتصدي لما يصدر عن عروة، ولعلي أرى معنى دقيقاً في هذا الموقف منه عليه الصلاة والسلام، أنه ترك لأصحابه أن يعبروا عما في أنفسهم، وأن يشاركوا في الدفاع عن معتقدهم، وأن يتحاوروا مع خصمهم، فلن يستأثر بالحديث دونهم، فالقضية للجميع، وليست شخصية أو فردية.

٣ - وفيه أن المخالف يتيقن أنه يواجه جماعة، وليس فرداً، فيخشى، ويهاب، ويحسب للأمر ألف حساب.

رابعاً: في اللقاء الثالث مع أحد الموفدين من كفار قريش وهو رجل من بني كنانة ظهر ما يلي:

معرفته ٢ بالناس معرفة دقيقة، ولم تقتصر معرفته بأصحابه، إنما شملت الخصوم، وهذا أمر مهم جداً على المدافعين عن سنة نبيهم ٢ أن يولوه اهتماماً، وأن يفيدوا من الوسائل الحديثة التي تمكنهم من معرفة خصومهم من خلال الإطلاع على مواقعهم في الشبكة العنكبوتية، وغير ذلك من وسائل الاتصال المتاحة، لما يعطيهم ذلك من قدر أكبر في المواجهة، والحوار، والإقناع.

خامساً: في اللقاء الرابع، وكان مع مركز بن حفص، وقد عرف رسول الله ٢ ما تميز

به مكرز وهو الفجور.

وأثناء حوار ه سهيل بن عمرو، وقد تفاعل ٢ بقدمه باسمه فقال: قد سهل لكم أمركم.

سادساً: برز في هديه ٢ مع سهيل بن عمرو بعض الأمور الدقيقة، والعجيبة والمهمة التي نفيد في الحوار مع المخالف، ومن ذلك ما يلي:

أ - الاستجابة السريعة منه ٢ لطلب سهيل بكتب الكتاب الذي سيتم من خلاله معاهدة بين المسلمين والمشركون، فدل هذا على أن كتابة ما يتفق عليه، من الأمور المهمة التي تقويم الحجة على الطرفين، وتثبت المتفق عليه عند التنازع، وتزيل أي إشكال يحصل من سوء الفهم، أو النسيان، كما أنه تبادل شعور مشترك يهدف إلى تحقيق المصلحة العامة للجميع متى ما أحسنت النية، وتم الالتزام به.

ب - في كتابة الكتاب تبرز خصال عظيمة للنبي ٢ ومنها: الصبر، والحلم والأناة، والنظرة الثاقبة البعيدة، وتحقيق المصالح الكبرى بالنظر إلى الأولويات، وتقديم الأهم على المهم، وكنم الغيظ، وهذه الخصال إذا لم تتوافر في أتباع النبي ٢ والمدافعين عن سنته، فإن ذلك يحدث خلا عظيماً في التعامل مع المخالف، وها هو الواقع يرينا من الحوادث الكثيرة التي وقعت بين فئات من الناس حملوا راية الإسلام، ولم يلتزموا بهدي النبي ٢ في الحوار، فصارت الفتن والبلايا تلازمهم، فضلوا وأضلوا.

المطلب الثالث: من أساليب الكفار في هذا الحوار.

أولاً: التشاور فيما بينهم، واتخاذ القرار السريع الذي يرون فيه تحقيقاً لمصالحهم الشخصية.

ثانياً: يوجد بينهم العقلاء والسفهاء، لذا ينبغي على المحاور لهم أن ينزل كلا منهم منزلته، ويتعامل مع كل بالطريقة المناسبة لعقليته.

ثالثاً: الكفار تأخذهم العزة بالإثم، فيصيرون على رأيهم حتى يحصل لهم من الإشكالات ما يخضعهم، ويذلهم، فينقادون، ويستسلمون.

رابعاً: التأثر ببيئة من يحاورونه، فبعضهم يشاهد ويتأمل، كما فعل عروة بن مسعود، فيتخذ قراره بناءً على معانيته من واقع الحال، وهذا أمر على من تصدى للدفاع عن سنة النبي ٢ أن يولييه أهمية قصوى، فيهيء مكان الحوار، وما يطرح فيه من أقوال وأفعال.

خامساً: قصر نفس الكافر، فهو يتعجل مصالحة النبيوية، وهذه صفة تصاحبه لارتباطه بالدنيا العاجلة، فيكفر بها لأنها هدفه، وغايته، وهذه الخصلة التي فطر عليها الإنسان لا يمكن أن تتهدب، وتحكم، ويكبت جماحها إلا لمن يتعلق بالآخرة الباقية، فعلى المدافعين عن سنة نبيهم ٢ أن يحذروا من العجلة، وقصر النظر فهم على الحق الذي يتطلب الصبر والأناة.

المبحث الثاني: المثال الثاني:

المطلب الأول: قدوم مسيلمة الكذاب على رسول الله ٣.

روى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: (قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ٣ فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِي مُحَمَّدٌ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِي، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ٣ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شِمَّاسٍ وَفِي يَدِ رَسُولِ اللَّهِ - قِطْعَةٌ جَرِيدٍ - حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ الْقِطْعَةَ مَا أُعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعُدُّوا أَمْرَ اللَّهِ فِيكَ، وَلَنْ أُدْبِرْتَ لِيَعْقُرَنَّكَ اللَّهُ. وَأَيُّ لَارَاكَ الَّذِي أُرَيْتُ فِيهِ مَا رَأَيْتَ وَهَذَا ثَابِتٌ يُحِبُّبِكَ عَنِّي ثُمَّ انصَرَفَ عَنْهُ) (٢٨).

قال ابن عباس (فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ٣: إِنَّكَ أَرَى الَّذِي أُرَيْتُ فِيهِ مَا رَأَيْتَ فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ٣ قَالَ: بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ فَأَهْمَنِي شَأْنُهُمَا، فَأَوْحَى إِلَيَّ فِي الْمَنَامِ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَفَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوْلَتْهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِي: أَحَدُهُمَا الْعَسِيُّ، وَالْآخَرُ مُسَيْلِمَةُ).

قال أبو هُرَيْرَةَ t قال: قال رسول الله ٣: (بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتَيْتُ بِخَرَّائِنِ الْأَرْضِ فَوَضَعَ فِي كَفِّي سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَكَبَّرَا عَلَيَّ، فَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ انْفُخْهُمَا، فَفَنَفَخْتُهُمَا فَذَهَبَا، فَأَوْلَتْهُمَا الْكَذَّابَيْنِ اللَّذَيْنِ أَنَا بَيْنَهُمَا صَاحِبَ صَنْعَاءَ؛ وَصَاحِبَ الْيَمَامَةِ).

المطلب الثاني: هديه ٣ في هذا الحوار.

الكفار تختلف مراتب كفرهم من حيث الأضرار المترتبة على الغير بسبب نوع الكفر، فبعض الكفار لا يتعدى ضرره إلى غيره غالباً، فهو في حال سبيله لا تهمه إلا نفسه، وبعضهم يتعدى ضرره إلى الغير بصورة محدودة قد لا تتجاوز بيئته، أو مدينته وبعض آخر يعد من المفسدين في الأرض الذين تمكن الخبيث والكيد فيهم، وأخذت العداوة والبغضاء منهم كل مأخذ، وهذا الصنف هو المعنى في هذا المطلب لأنه يتعلق بالحديث المذكور آنفاً.

لذا نرى كيف سلك نبينا ٣ هدياً مغايراً لما يسلكه مع عامة الكفار، فبالتأمل للحوار الذي دار بين رسولنا ٣ وبين مسيلمة الكذاب يتضح ما يلي:

أولاً: الرد القوي منه ٣ على قول مسيلمة، والذي لا يحتمل أخذاً ورداً، وإنما هو موقف واحد لمعرفته ٣ بحال مسيلمة وما صدر منه.

ثانياً: استعمال التهديد والوعيد ضد هذا الفاجر، بل وقطع الحوار معه مادام مصراً على ما هو عليه.

وقد تضمن الوعيد الاعتماد على الله عز وجل في رد كيد ذلك الكافر.

وفي موقف الرسول ٣ هنا دروس عظيمة لأتباعه والمدافعين عن سنته منها:

١ - معرفة المخالف معرفة جيدة، حتى يمكن استعمال الأسلوب الأمثل في حوارهِ والتأمل معه.

٢ - ضرورة الإصرار على المواقف الواضحة التي لا تحتاج إلى جدال، أو تراجع، أو تردد، ليعرف المخالف شناعة ما هو عليه فإما يردد أو يردع، وقد يقاس على مسيلمة السحرة، والكهنة فمن تمكن منهم الشيطان تمكنا جعل من الصعوبة بمكان أن يرجعوا إلى الرشده والصواب.

(٢٨) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حذيفة، وأرقام الأحاديث الثلاثة (٤٣٧٣، ٤٣٧٤، ٤٣٧٥).



المطلب الثالث: من أساليب الكفار في هذا الحوار.

أولاً: استخدام أسلوب المراوغة، لتحصيل المكاسب التي تمكنه من محاربة خصمه.
ثانياً: تقديم المصلحة الدنيوية وجعلها هي المعتبرة دون غيرها، فالكفار يحبون العاجلة، ويذرون الآخرة، وهذه نقطة ضعف على محاورهم أن يستغلوها في زيادة يقينهم بالله وقدرته على إهلاك عدوهم ماداموا على كفرهم، ومتجرئين على الله عز وجل.

المبحث الثالث: المثال الثالث: حديث ثمامة بن أثال.

المطلب الأول: حديث ثمامة بن أثال.

روى البخاري عن أبي هريرة t قال: (بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ خَيْلًا قَبِيلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ ثَمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: مَا عِنْدَكَ يَا ثَمَامَةُ؟ فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ.

يا محمد إن تقئلني تقئل ذا دم، وإن تُنعم تُنعم علي شاكراً، وإن كُنت تُريدُ المَالَ فسل منه ما شئت. ففرك حتى كان الغد ثم قال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: ما قلت لك: عِنْدِي مَا قَلْتُ لَكَ. فقال: أَطْلِقُوا ثَمَامَةَ. فأنطلق إلى نخل قريب من المسجد فأغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. يا محمد، والله ما كان علي الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك فأصبح دينك أحب الدين إلي والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك فأصبح بلدك أحب البلاد إلي وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فمأذا ترى؟ فبشرة رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوت؟ قال: لا والله، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله ﷺ ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ) (٢٩).

المطلب الثاني: هديه ٣ في هذا الحوار.

ذكرت آنفاً اختلاف مراتب الكفار، وسيتجلى هذا الاختلاف بين حديث المبحث الثاني، وحديث هذا المبحث، وسنرى اختلاف تعامله ٣ مع الكافر مسليمة ومع ثمامة بن أثال قبل إسلامه، فقد برز هديه ٣ هنا فيما يلي:

أولاً: تكريمه ٣ لثمامة، حيث ربطه في سارية بالمسجد، والمسجد بقعة طاهرة ومكان مقدس يحترمه المسلمون، ويقدرون له قدره، وفي فعله ٣ هذا إنزال لثمامة منزلاً كريماً لمكانته في قومه، ولتفاؤله عليه السلام في إسلامه.

ثانياً: تردد الحوار معه بأسلوب جميل وقصير، ولعل هذا الأسلوب بناه الرسول ٣ على الرد الجميل الذي رد به ثمامة عليه.

ثالثاً: أناته ٣ حيث أعطى ثمامة الوقت الكافي في التفكير لتقرير المصير.

رابعاً: العفو والصفح عند المقدرة الأمر الذي شرح الله به صدر ثمامة بن أثال للإسلام، فأسلم وحسن إسلامه، ومن هذا الهدى الكريم يستخلص الدعاة الذين شرفهم الله بالتأسي بسنة الرسول ٣ والدفاع عنه أن يتحلوا بهذا الخلق العظيم، كي يروا مخالفاتهم ما يمكن أن تنتشر به صدورهم، وتطمئن به قلوبهم، وتخضع له جوارحهم، كما ظهر جلياً في هذا الحديث.

المطلب الثالث: من أساليب الكفار في هذا الحوار.

قد يوجد من الكفار من يبقى على فطرته السليمة من الحقد والضغينة فيكون مهيباً للخير بمجرد موقف جميل يؤثر فيه، وهذا ما كان عليه ثمامة قبل إسلامه، كما أن بعض الصفات الجميلة التي يتحلى بها بعض الكفار تكون سبباً في قربهم من الإسلام لتوافقها مع ما يدعوا إليه، كعزة النفس، وحسن التعامل والكرم، والتأثر الإيجابي، لذا فإن المحاور المسلم عليه التنبيه لذلك، وعدم اليأس من كسب المخالف وتلمس نقاط الخير فيه، حتى يمكن أن يؤثر عليه.

(٢٩) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة، وحديث ثمامة بن أثال، رقم الحديث (٤٣٧٢).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد. فبعد هذه الرحلة المليئة بالأحداث، والواقف العجيبة، والغريبة، والطريفة، ففيها ما يُفرح ويُحزن، ويؤلم ويؤمل، ويبشر وينذر، توصلت من خلالها إلى نتائج وتوصيات، فأما النتائج فهي:

١ - أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود تصديق لقوله تعالى: [لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا] الآية (٨٢) المائدة، وذلك لما طُبعوا عليه من أرذل الأخلاق، وأشنع الأوصاف: كالمكر، والغدر، والجبن، وحب الدنيا، والأنانية، والإصرار على الباطل.

٢ - أنه لا تكاد تخلو طائفة من طوائف المخالفين من أناس معتدلين، متقبلين للحق، يتأثرون بالمواقف الحسنة، ولديهم عاطفة إيجابية.

٣ - يختلف الحوار بين طائفة وأخرى، بل وحتى بين أهل كل طائفة، حيث يوجد بينهم المتعصبون، والمفرطون، فلزم معرفة النفسيات، ودراسة الأحوال قبل البدء في الحوار.

٤ - بُعد كثير من أهل الإسلام في حوارهم مع المخالفين عن الهدى النبوي إما جهلاً، وإما غفلة، وإما تجاوزاً وتقديم العاطفة على البصيرة.

٥ - أن الحوار من أهم أساليب التواصل مع الناس، وله من الأثر والتأثير الشيء الكثير، كما أنه ليس قولياً فقط، بل سلوك وعمل، وفقه وعلم.

أما التوصيات التي أوصي بها بعد هذا البحث فهي:

١ - ينبغي ألا يتصدى للحوار كل أحد، بل لابد من اختيار العناصر المؤهلة لذلك علماء، وسلوكاً، وسمعة، وممارسة.

٢ - أهمية العناية بالكتابة في مثل هذا البحث المختص بالدراسة والتأمل في حوارات الرسول ﷺ مع مخالفيه، كي تستخلص منها الدروس، والطرق السليمة في آداب الحوار والمناظرة.

٣ - ضرورة اطلاع أهل العلم بكثرة على حوارات رسول الله ﷺ مع مخالفيه ومناقشتها مع طلابهم، والإفادة منها علمياً وعملياً.

٤ - أهمية إقامة مراكز علمية مختصة في الحوار، ويكون من أهم أعمالها تأهيل وإعداد المحاورين المتخصصين لأصناف الطوائف، فقوم يختصون بالحوار مع طائفة اليهود، وقوم بالنصارى، وهكذا.

٥ - الإفادة من وسائل الاتصال الحديثة في الحوار مع الناس، مع أهمية أن تسند هذه المهام إلى من يجمع الصفات المؤهلة لذلك والتي ذكرت في ثنايا البحث. وختاماً:

أحمد الله عز وجل على توفيقه وامتنانه، وأسأله سبحانه أن يجعل عملي صالحاً، ولوجهه خالصاً، ثم أرفع شكري وتقديري لكل من أعانني ونصحتني في إنجاز هذا البحث، فجزاهم الله جميعاً عني خير الجزاء.

وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثبت المراجع:

- (١) أدب الحوار في الإسلام، محمد بن سيد طنطاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٩٧م.
- (٢) الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع، تيسير محجوب الفيتاني، مركز الكتاب الأكاديمي.
- (٣) الاختلاف وما إليه، محمد بن عمر بازمول، دار الهجرة للنشر والتوزيع، النقبه، السعودية، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- (٤) الحوار أصوله المنهجية وآدابه السلوكية، أحمد بن عبدالرحمن الصويان، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ.
- (٥) الحوار دائماً، شوقي أبو خليل، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- (٦) الحوار مع أهل السنة أسسه ومناهجه في الكتاب والسنة، خالد بن عبدالله القاسم، دار المسلم، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
- (٧) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٣هـ.
- (٨) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد أبو شهية، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.
- (٩) صحيح مسلم بشرح النووي، محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف الحزامي الحواري الشافعي النووي، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- (١٠) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
- (١١) فقه التعامل مع المخالف، عبدالله بن إبراهيم الطريقي، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.
- (١٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور، أعاده بناءه على الحرف الأول من الكلمة، يوسف خياط، دار الجيل، دار لسان العرب، بيروت، ١٤٠٨هـ.
- (١٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا، الطبعة الثانية.
- (١٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة
٥	التمهيد
١٥- ٧	الفصل الأول: أمثلة من هديه ٢ في حوار ه مع اليهود.
٧	تمهيد
٩- ٨	المبحث الأول: المثال الأول: إسلام عبدالله بن سلام .t
٨	المطلب الأول: حديث إسلام عبدالله بن سلام .t
٨	المطلب الثاني: هديه ٢ في هذا الحوار.
٨	المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ٢.
١١- ١٠	المبحث الثاني: المثال الثاني.
١٠	المطلب الأول: حديث رجم الزاني والزانية من اليهود.
١٠	المطلب الثاني: هديه ٢ في هذا الحوار.
١١	المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ٢.
١٢	المبحث الثالث: المثال الثالث.
١٢	المطلب الأول: من نصوص التوراة الموافقة للقرآن.
١٢	المطلب الثاني: هديه ٢ في هذا الحوار.
١٢	المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ٢.
١٣	المبحث الرابع: المثال الرابع:
١٣	المطلب الأول: حديث محاولة قتله ٢ بالسم.
١٣	المطلب الثاني: هديه ٢ في هذا الحوار.
١٣	المطلب الثالث: من أساليب اليهود في حوارهم مع النبي ٢.
١٥- ١٤	المبحث الخامس: المثال الخامس.
١٤	المطلب الأول: حديث أسئلة حبر من أبحار اليهود.
١٤	المطلب الثاني: هدية e في الحوار.
١٥	المطلب الثالث: من أساليب اليهود في الحوار.
١٩- ١٦	الفصل الثاني: أمثلة من هديه ٢ في الحوار مع النصارى.
١٦	المبحث الأول: المثال الأول (وفد نصارى نجران).
١٦	المطلب الأول: حديث وفد نصارى نجران.
١٧	المطلب الثاني: هديه e في هذا الحوار.
١٨	المطلب الثالث: من أساليب النصارى في هذا الحوار.
٢٠	المبحث الثاني: المثال الثاني: قدوم عدي بن حاتم إلى رسول الله e.
٢٠	المطلب الأول: حديث قدوم عدي بن حاتم إلى رسول الله e.
٢٠	المطلب الثاني: هديه e في هذا الحوار.
٢٠	المطلب الثالث: من أساليب النصارى في هذا الحوار.
٢٨- ٢١	الفصل الثالث: أمثلة من هديه ٢ في الحوار مع الكفار.
٢١	تمهيد
٢١	المطلب الأول: المثال الأول: حوار صلح الحديبية.

٢٤	المطلب الثاني: هديه ٣ في هذا الحوار.
٢٥	المطلب الثالث: من أساليب الكفار في هذا الحوار.
٢٦	المبحث الثاني: المثال الثاني:
٢٦	المطلب الأول: قدوم مسيلمة الكذاب على رسول الله ٣.
٢٦	المطلب الثاني: هديه ٣ في هذا الحوار.
٢٧	المطلب الثالث: من أساليب الكفار في هذا الحوار.
٢٨	المبحث الثالث:المثال الثالث: حديث ثمامة بن أثال.
٢٨	المطلب الأول: حديث ثمامة بن أثال.
٢٨	المطلب الثاني: هديه ٣ في هذا الحوار.
٢٨	المطلب الثالث: من أساليب الكفار في هذا الحوار.
٢٩	الخاتمة
٣٠	ثب المراجع
٣١	فهرس الموضوعات